المغفرة والتوبة في الشعر العربي " الأعشى وأبو الهندي، وأبونواس "

دراسة تطبيقية مقارنة

إعداد

د. أمينة عبدالله الحشاني

أستاذ مساعد- كلية التربية - جامعة بنغازي

Amina.alhashani@uob.edu.ly

الملخص:

يتناول البحث ثلاثة شعراء (الأعشى، أبوالهندي، أبونواس) لما عرف عن هؤلاء الشعراء من حب للخمر وما يتبعها من مغامرات فاحشة زخرت بها أشعارهم وأخبارهم.

نقرأ أشعاراً تنم عن تمرد وتخطي للقيم المعهودة، وقد أسهمت عوامل متنوعة في دفعهم إلى هذا المسلك ، منها عوامل تتعلق بالبيئة والنشأة، ومنها مايتعلق بالسجية التي جبل عليها الإنسان، وعندما كانت النفس البشرية تتلون من نفس إلى أخرى، وتتلون حتى في النفس الواحدة، فلا تبقى على وتيرة واحدة فتكون خيرة نقية وتكون خبيثة شريرة

ومن خلال تناولنا للشاعر الأعشى الذي عاش في الجاهلية قسطا كبيرا من حياته ولم تكن الخمر محرمة بل كان السواد الأعظم يشربها، لكن الأعشى كان مغرما بها خلد هذا العشق في أشعاره ، والخمر هي" أم الخبائث " وقد كان الأعشى مغرما بالشهوات المحرمة ،وبسبب الخمر أجَّلَ توبته. فأحجم عن التوبة وعاد ليتروى منها وعاش حتى السنة السابعة للهجرة لكنه بإجماع المراجع لم يمت مسلما وإنما توفي في السنة التي أراد أن يعلن فيها إسلامه،إن نفسه التي جبلت على الفحش والمجون انتابتها صحوة، ويبدو أنها كانت متذبذبة كعقيدته المتذبذبة كما تبينَ لنا، لكنه نظم أبياتاً رائعة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وصف فيها تحمله مشقة السفر و شدة شوقه لملاقاة الرسول، وذكر صفات الرسول ووصاياه بالاستقامة والإيمان، وأن من لا يتبع وصايا النبي يرحل من الدنيا بلا زاد يتزود به، ويكون مصيره الندم.

أما أبوالهندي فقد جاهرفي شعره بحب الخمر وما يتبعها مضمناً أبياته طلب العفو والمغفرة وبلغ بأبي نواس أن تناول عظائم الأمور حين تجرأ على ثوابت العقيدة الإسلامية، فأنكر البعث، والجنة والنار، وضغطة القبر، كما أمعنَ في المجون والفحش؛ لكن لاتخلو أشعاره من الندم وطلب المغفرة التي نرجح أنها كانت تُكتب على فترات متقطعة ،حين كانت تنتابه لحظات الندم.

الكلمات المفتاحية:(اللاوعي، الندم، المعتقدات الدينية، الخمر، الزندقة)

Abstract:

The research deals with three poets (Al-Asha, Abu al-Hindi, and Abunuwas) because these poets were known for their love of wine and the subsequent obscene and indecisive adventures that abound in their poetry and news.We read poems that reveal rebellion and transgression of the usual values, and various factors contributed to pushing them to this behavior, including factors related to the environment and upbringing, and some related to the way in which the human being was born, and when the human soul varies from one soul to another, and varies even within the same soul, it does not stay on one pace, so it is good and pure and malicious and evil The poet Al-Asha, who lived in Jahiliyyah for a large part of his life, and wine was not forbidden, but the vast majority drank it, but Al-Asha was fond of it and immortalized this love in his poems, and wine is the “mother of evils.” Al-Asha was fond of forbidden desires, and because of the wine, he postponed his repentance. He lived until the seventh year of the Hijrah, but he did not die as a Muslim, but died in the year in which he wanted to declare his Islam, and his soul, which was raised on obscenity and immorality, had an awakening, and it seems that it was as fluctuating as his fluctuating faith, as we have known. However, he wrote wonderful verses in praise of the Prophet, describing his endurance of the hardship of traveling and his longing to meet the Prophet, and mentioned the Prophet's qualities and his commandments of righteousness and faith, and that those who do not follow the Prophet's commandments will leave this world without a supply of food, and will be doomed to regret. As for Abu al-Hindi, he openly expressed in his poetry his love for wine and its aftermath, including his verses asking for pardon and forgiveness. Abu Nawas went so far as to address the greatness of matters when he dared to deny the constants of Islamic belief, denying the resurrection, heaven and hell, and the pressure of the grave, as well as indulging in immorality and obscenity; however, his

poems are not devoid of remorse and requests for forgiveness, which we assume were written at intervals when he was experiencing moments of remorse.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

خُلق الإنسان ضعيفاً قاصراً عن الكمال في عقله وجسمه، وقد أخبرنا الله جل وعلا عن الإنسان في آيات كثيرة في كتابه العزيز أن صفات النقص التي خُلق عليها الإنسان لابد أن تولِّد فيه الأخطاء والزلات لحِكمٍ يعلمُها، ولعل أجلّها العودةَ إلى الله، وطلب المغفرة والرحمة والعفو.

التوبة هي الإقلاع عن الذنوب كلها، والندم عليها، والعزْم على عدم العودة إليها، أما الغفرانُ فهو التسليم للإرادة الإلهية في كلِّ ما جرى.

التوبة وطلب المغفرة يصدران عن ندم بفعل خطأ أُرتُكِبَ، ترى الكاتبة الأمريكية اندريا برانت في تقرير نشرته مجلة (psychology today) أننا نشعر بالذنب عند ارتكابنا خطأ ما، لكننا نشعر بالخجل عندما ندرك أننا مخطئون،

أما الندم فهو شعور بألم نفسي يؤرق الإنسان، هو السبيل الوحيد لغسيل النفس وتنقيتها من همومها وأحمالها.

يقول علماء النفس إن الإنسان يتعامل مع المستقبل على أساس عقله الذي قد تشكل في الماضي، وهو العقل (اللاواعي)، وليس (العقل الواعي) وفي هذه الفترة كان الإنسان صغيرًا ولم يكن عقلُه الواعي قد نضج من حيث السِّن والعلم، فكان العقل اللاواعي يخزّنُ كلَّ المعتقدات والمعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات أو المعتقدات صحيحة أم خاطئة، لكن عندما ينضج الإنسان يحاول أن يفهم عقله الواعي لكنه حين يتصرف، يتصرف بعقله اللاواعي، مثلاً نجد شخصاً يحب الهدوء، ويعاني من العصبية الشديدة والانفعال، وخَسِرَ علاقاتٍ كثيرة بسبب ذلك.

(عقله الواعي) يكره الانفعال، وعقله الباطن (اللاواعي) هو الذي يغضب وينفعل، والدليل أنك تجد الشخص الانفعالي بعد أن يهدأ يندم ويلوم نفسَه على هذا الغضب. (انظر عمر أبو عاذرة، 2017 : 62)

في دراسة تراثنا الأدبي نقف عند شعراء تخطوا بأفعالهم وأشعارهم كثيرًا من القيم والثوابت العَقَدية، وتجاوزوها إلى غير المألوف، شطحتْ بهم أفكارهم شطحاتٍ خرجت عن المعتقدات الدينية، و عن المنظومة الأخلاقية، فعزمتُ في هذا البحث على دراسة دوافع هذا التخطي وما انتهى إليه من ندم وتوبة ومغفرة.

تفيد دراسة هذا الموضوع في الوقوف عند ظاهرة برزت في الشعر العربي لدى بعض الشعراء وهي التوبة والمغفرة بعد أن عُرفَ عن هؤلاء الشعراء تشبثهم بالخمر وما يتبع هذا التشبث من مجون وانحراف.

تسعى هذه الدراسة من خلال تتبع سِيَرِ هؤلاء الشعراء وأخبارهم إلى رصد أشعارهم التي تمثل الجانب المضيء، وهي ما نطلق عليها أشعار المغفرة والتوبة من خلال ما تطرحه من التساؤلات لمعرفة الأسباب

التي جنحت بهؤلاء الشعراء إلى الخمر و المجون، ثم إلى النقيض، حيث نقرأ في أشعارهم ما ينم عن ندم و واعتراف بذنب وطلب لمغفرة وحكمة، وهل كان الدافع وراء هذه الأشعار توبة أم هي صحوة تنتابهم بين الفينة والأخرى، وهل كانت بعوامل خارجية أم عوامل ذاتية ، وهل نظمت دفعة واحدة أم على فترات متفاوتة.

خطة الدراسة

اقتضت الخطة الإجرائية المنهجية للبحث تناوله في مباحث على النحو التالي

المبحث الأول : الأسباب التي دفعتهم إلى التجرؤ على المحرمات والخوض فيها واقتراف الذنوب

المبحث الثاني: المجون و المخالفات العقدية في أشعارهم

المبحث الثالث: التوبة والمغفرة في أشعارهم

وقد اقتضت هذه الدراسة تبني المنهج التكاملي الذي يشمل المنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي في دراسة الجوانب المتعلقة بحياتهم والمنهج الوصفي التحليلي في تحليل أشعارهم .

الدراسات السابقة

تعرض هؤلاء الشعراء للدراسة ضمن دراسات عامة تناولت حياتهم وأشعارهم في كتب الأدب، أو كتب مختصة بالشاعر ذاته، ومثل هذه الدراسات بالإضافة إلى الدواوين تعد منظومة مرجعية مفيدة لنا في هذا البحث، ومن هذه الدراسات: فن المديح عند الأعشى "دراسة فنية" زهير عبدالله مدخلي، وأبونواس في أنظار الدارسين العرب المحدثين عيسى عبد الشافي، ودراسة للباحث رزق المتولي رزق أحمد عن " صورة الخمر في شعر أبي الهندي وأثرها في خمريات أبي نواس" رؤية نقدية تحليلية" نشرث في مجلة حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، مجلد 24 العدد 9/ 2020 ودراسة النويهي لأبي نواس التي أخضع فيها الشاعر للمنهج النفسي. وتوجد دراستان تناولتا الانحرافات العقدية في الأدب العربي المعاصر هما كتاب الحداثة في العالم العربي – دراسة عقدية- للدكتور محمد عبدالعزيز العلي، وكتاب صدر عن دار الأندلس الخضراء بعنوان " الانحراف العقديٌ في أدب الحداثة وفكرها .. دراسة نقدية شرعية" للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي يناقش فيها الانحرافات العقدية عند رموز الحداثة من خلال ما سطروه في كتبهم والصحف والمجلات، ودراستنا لهؤلاء الشعراء تلقي الضوء على ما يمثل تخطياً للمنظومة الأخلاقية و المعتقدات الدينية في أشعارهم، ثم إعلان التوبة و طلب المغفرة من الله عزوجل.

1- المبحث الأول : الأسباب التي دفعتهم إلى التجرؤ على المحرمات والخوض فيها واقتراف الذنوب

يكون الإنسان صورة لبيئة نشأ فيها وانعكاساً لعوامل تضافرت على أن تحدد ملامح شخصيته ،فيعبر من خلال شعره عن نظرته للأشياء وينقل لنا تجاربه، بما يملكه من مقدرة لغوية تساعده على التعبير عما في نفسه . فالأعشى، هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، " يُكنى أبا بصير وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قتيلُ الجوع؛ سُمي بذلك لأنه دخل غاراً يستظل فيه من الحرّ، فوقعتْ صخرةٌ عظيمةٌ من الجبل فسدَّتْ فمَ الغَار فمات فيه جوعاً ". (الأصفهاني، ج9،د.ت:127)

قال جُهُنَّامُ يهجوه:(الأصفهاني، ج9،د.ت:127)

أبوك قتيل الجوع قيس بن جَنْدل وخالك عبدٌ من خُماعةَ راضعُ

إذا تطرقنا إلى بيئة الأعشى التي عاش فيها وهي جزيرة العرب التي انتشرت فيها أيام الجاهلية ديانات متعددة، كالمجوسية والوثنية والسماوية التي تمثلها المسيحية واليهودية وقد حفل الشعر الجاهلي ببقايا هذه الأساطير القديمة، والمعتقدات التي انتشرت في ذلك الوقت، والتي تعد امتدادا لمعتقدات الأجداد، إلى جانب المسيحية واليهودية اللتين نلمس أثرهما بوضوح في أشعار كثير من الشعراء "حيث الأحبار والرهبان يبشرون بما يزعمون أنه من التوراة والإنجيل " (مصطفى الشوري، 1996: 66) لكن هذا التأثر كان" شكلياً لا يعدو أن يكون معرفة بتعاليم هذا الدين دون الإيمان به والاعتقاد فيه." (زهير عبدالله، 2009: 12)

لقد أدى هذا التنوع إلى تذبذب عقيدة الأعشى فجسد هذا الموروث الديني بما فيه من معتقدات وأساطير خيالية في شعره، وقد كان ملماً بقدر لا بأس به من أمور الديانة المسيحية واليهودية اتضح ذلك في مدح ملوكهم وأمرائهم(زهير عبدالله،2009: 13) يقول ذاكرًا نجران وهي من معاقل المسيحية: يقول: (الأعشى،2005 :50)

وكعبةُ نَجرانَ حَتْمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخي بأبوابِهَا

نزُورُ يزيدَ، وعبْدَالمسيحِ وقيساً، هُمُ خَيرُ أربَابِهَا

ويمدح قيس بن معد يكرب الكندي فيصور السائلين يطوفون بأبوابه، كما يطوف النصارى ببيت الوثن ويقول: (الأعشى، 2005 :196)

يطوف العُفاةُ بأبوابِهِ كطَوْفِ النَّصَارى ببيتِ الوَثَنْ

ويقول: (الأعشى، 2005 :177)

فإني وثوبَي راهبِ اللُّجِّ، والتي بناها قُصَيٌّ والمُضَاضُ بنُ جُرْهِمِ

لئن جدَّ أسبابُ العَداوةِ بيْنَنَا لتَرْتَحِلَنْ مِنِّي على ظَهرِ شَيْهَمِ[1]

" الأبيات تظهر فيها التأثيرات المسيحية بما يؤكد أن الأعشى كان على علم بأمر هذه الديانة ورهبانها وإن لم يوقن بها." (زهير عبدالله،2009 :13)

ويقول: (الأعشى، 2005:167)

إنَّ مَحَلًّا، وإنَّ مُرتحَلاً وإنَّ في السَّفْرِ ما مضى مَهَلا

استأثرَ اللهُ بالوفاءِ وبالـ ـعَدلِ وولَّى الملامَةَ الرَّجُلا

[1] الشيهم: القنفذ

وقد أخذ هذا من العِباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك (الأصفهاني، ج 9،د.ت : 133)

كما قيل أنه كان قدريا من الذين ينكرون أن الله قدَّر على عباده الشر، وهو ما ذهبت إليه فرقة المعتزلة (الأصفهاني، ج9،د.ت، 132)

والأخبار تذكر أن الأعشى عاصر الإسلام لكنه لم يسلم ، " يقال: أنه لما سمع بالرسول صلى الله عليه وسلم وانتصاراته وانتشار دعوته رغب في الوفود عليه ومديحه،.وعلمت قريش بذلك فتعرضت له تمنعه وكان مما قاله له أبوسفيان بن حرب : إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق، ولك موافق، قال: وما هن؟ فقال أبوسفيان: الزنا والقماروالرِّبا والخمر، فعدل عن وجهته،) ويقال أنه " قال لأبي سفيان لقد تركني الزنا وما تركته؛ أي كبر سني وضعفت عن الشهوات المحرمة، ولكنه قال عن الخمر: أما هذه فلا ، ففي النفس منها شيء (الأصفهاني، ج9،د.ت،: 147) وقيل أنه قال " أَوَّه ! أرْجع إلى صُبابةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس فأشربُها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممتَ به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خَلَفاً، وإن ظهر علينا أتيتهُ. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبوسفيان: يامعشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتَّبعه ليُضرمنَّ عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله." (الأصفهاني، ج9، د.ت:148) أما شوقي ضيف فيصف تدين الأعشى فيقول:" كان وثنياً غالياً في وثنيته" (شوقي ضيف،ط8، 1960 : 339) ويقول :" طبيعي لمن تكون حياته على هذا النحو من المجون والإثم أن يكون وثنياً متعمقا في وثنيته وألا يعتنق الإسلام ولاغير الإسلام من الأديان السماوية " (شوقي ضيف،ط8، 1960 : 338) وهذا القول يتفق إلى حد بعيد مع ما ذهب إليه الزبيدي في قوله :" ليس من المعقول أن يطفح قلب الماجن المستهتر بعواطف الإيمان والتوبة والأسف (علي الزبيدي، 1959: 33)

أما قصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فهي مثبتة في ديوانه ، وإن شكك بعض من النقاد في نسبتها إليه، فقد صحح بعضهم نسبتها إلى الأعشى، وقد استهلها على غير عادته فلم يقدم لها مقدمة خمرية ولاغزلية وإنما بدأها بداية الحكيم الذي خبر الدنيا وجرَّب يقول في مقدمتها:(الأعشى،2005 :68)

ألم تَغْتَمِضْ عيناك ليلةَ أرْمَدَا وبِتَّ كما باتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

وما ذاك من عشْقِ النساء وإنَّما تناسيتُ قبلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْددا

ولكن أرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ إذا أصْلَحَتْ كفَّاي عادَ فأفْسَدَا

وفيها يقول:

ألا أيَّهذا السائلي أين يمَّمَتْ فإنَّ لها في أهلِ يثربَ موعِدا

فأمَّا إذا ما أدلَجتْ فترى لهَا رقيبَيْنِ جَدْياً لايَغيبُ وفَرقَدا

وفيها إذا ما هَجَّرتْ عَجرَفِيَّةٌ إذا خِلتَ حِرباءَ الظهيرةِ أصيدا

أجدَّتْ برجلَيها نجاءً وراجعتْ يداها خِناقاً ليّناً غيرَ أحْرَدا

فآليتُ لا أَرْثي لها عن كَلالةٍ ولا مِنْ حفيَّ حتَّى تزورَ مُحَمَّدا

متى ما تُناخِي عند بابِ ابنِ هاشمٍ تُريحي وتلقَي من فواضله ندا

نبيٌّ يرى ما لا ترون وذكرُهُ أغار لَعَمْرِي في البلاد وأنْجَدا

له صدقاتٌ ما تُغِبُّ ونائلٌ وليس عَطاءُ اليوم مَانعَهُ غدا

وكان الأعشى محباً للخمر والمال، كثير الترحال كما يذكر في شعره يقول مخاطباً ابنته التي كانت تخشى عليه الردى : (الأعشى،2005 :190)

أَفي الطَّوفِ خِفتِ عَليَّ الرَّدى وكم مِن ردٍ أهلَهُ لم يَرِمْ

وقدْ طُفْتُ للمَالِ آفَاقَهُ عُمَانَ، فحِمْصَ، فأُورِيشلِمْ

أتيتُ النَّجَاشيَّ في أرضِهِ وأرضَ النَّبيطِ وأرضَ العَجمْ

فنجرانَ فالسَّرْوَ من حِميرٍ فأيَّ مَرامٍ لهُ لم أرُمْ

ومن بعدِ ذَاكَ إلى حَضرموتَ فأوفيتُ هَمِّي وحيناً أَهُمْ

ويصف حالة الترحال التي عاشها طلبا للمال منذ الصغر إلى أن أصبح كهلا

يقول : (الأعشى، 2005 :69)

مازلت أبغي المال مُذ أنا يافعٌ وليداً وكهلا حين شِبتُ وأمردا

وأبتذلُ العيسَ المراقيلَ تَغْتلي مسَافةَ مابين النَّجِيرِ فَصَرْخَدا

فإن تسألي عنِّي فيا رُبَّ سائلٍ حفَيٍّ عن الأعشى بهِ حيثُ أصْعَدَا [2]

فالأعشى كان متذبذاً في عقيدته، وكان محباً للمال، كثير التطواف، ما جعله على دراية واسعة بثقافة المعتقدات الأخرى ولاسيما المسيحية، التي تردد على ملوكها وأمرائها؛ لمدحهم والتكسب منهم.

وقد صرفه التعلق بالمال الذي تطلبته حياته اللاهية بما فيها من الخمر والمجون والنساء إلى المديح والتكسب والترحال ،وقد تراجع عن مدح الرسول حين أخبرته قريش بأن محمدا يحرم الخمر التي يعشقها عشقا ملك عليه حياته وقد أداه هذا العشق إلى تخطى القيم في أشعاره ، وقد ضاعف حب المال والتكسب هذا النهج في شعره.

أما الشاعر أبوالهندي، وهو غالب بن عبدالقدوس بن شبث بن ربعي الرياحي اليربوعي ، شاعر مطبوع أدرك الدولتين الأموية والعباسية (الأصفهاني،ج20، د.ت : 343) ولد عام 100 هـ في الكوفة ثم تنقل

[2] العيس المراقيل: النوق الكريمة والإرقال ضربٌ من السير. النجير وصرخد: موضعان.

في بلاد فارس، ونزل أولا في خراسان ثم انتقل إلى سجستان وتوثقت صلاته بأمراء سجستان هناك، وكان يقدم عليهم بصورة متكررة

أُتُّهم هذا الشاعر بفساد الدين فلم يكن ملتزما بدينه (محمد شاكر الكتبي، 1974 ، ج1،ط1،: 169) وكان ماجنا استفرغ شعره في الخمر،ويرى أبو الفرج أنه أول من أجاد وصفها من الشعراء الإسلاميين، والذي أخمل ذكْرَهُ بُعده عن ديار العرب وفسوقه ومجونه.(الأصفهاني، ج20،د.ت :343) وتروى في مجونه روايات كثيرة منها أنه أثناء رحلته للحج منع الوالي نصر بن سيار الخمر عنه ولكنه لم يقدر على ذلك، ووجد كأساً فأخذها إلى رابية وشرب هناك ، وأخذ يبكي ويقول: (أبو الهندي، 1969 : 8.)

أديرا عليَّ الكأسَ إنّي فَقَدتُها كما فقدَ المفطُومُ دَرَّ المَراضِعِ

حليفُ مُدام فارقَ الرَّاحَ روحُهُ فَظَلَّ عليهَا مُستَهِلَّ المَدامِعِ

وكان يأتي (كوه زيان) وتفسيره - جبل الخُسران- محلة يباع فيها الخمر والفاحشة، ويأوي إليها كلُّ خاربٍ وزانٍ ومغنيةٍ (الأصفهاني، ج20،د.ت: 346) وأن بعض القوم قد عاتبوه على فسقه ومعاقرته للشراب فقال : (الأصفهاني، ج20،د.ت: 347)

إذا صليتُ خمسا كلَّ يومٍ فإن الله يغفرُ لي فُسُوقِي

ولم أُشْركْ بربِّ النَّاسِ شيئاً فقد أمسكتُ بالدِّينِ الوثيق

وجاهدتُ العدُوَ ونِلْتُ مالاً يُبلِّغُنِي إلى البيتِ العَتِيقِ

فهذا الدِّين ليس به خَفاء دعُوني من بُنيات الطَّريقِ

وعن خبر وفاته يذكر الأصفهاني أن صدقة بن إبراهيم البكري قال: " كان أبو الهندي يشرب معنا بمَرو، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه، فكنا كثيراً ما نَشدُّ رجله لئلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل، وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه، فتقلَّبَ وسقط من السطح، وأمسكه الحبل فبقي منكساً وتخنَّقَ بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً. قال صدقة فمررتُ بقبره بعد ذلك فوجدتُ عليه مكتوباً : (الأصفهاني،ج20،د.ت: 346)

اجعلوا إن متُّ يوماً كَفَني ورقَ الكَرْمِ وقبري مَعْصَرَهْ

إنني أرجو من اللهِ غَداً بعدَ شُرْبِ الرَّاحِ حُسنَ المَغْفِرَهْ

وقوله: (ابن قتيبة ،ج2:د.ت ، 573)

إذا ما ألحَّ البردُ فاجعَلْ دِثَارَهُ إذا التحفَ الأقوامُ دكنَ المطارفِ

ثلاثة أرطالٍ نبيذاً معسَّلاً تكُنْ آمناً منـه له غيـرَ خائفِ

فإنَّ التحافَ المرْء في جوفِ بطنهِ أشدُّ وأدفأ مِنْ جيادِ الملاحفِ

أبونواس - الحسن بن هاني- عوامل كثيرة تضافرت لجعل هذا الشاعر يتصدر مجان الشعراء الذين عرفوا بالمجاهرة بكل ما يمجه الذوق وترفضه الأخلاق ، وقعت عليه شبهات متعددة ولعل أهمها، سيرة أمه السيئة ، و نسبه المبهم ، ثم تعرفه على بدر البراء صاحب الدكان الذي كان يبرئ العود ، وقد ذكر ابن منظور(ابن منظور، د.ت ، ج29 : 9859) عن أبي سعيد الجهني أن أخاه "بدر البراء" كان صاحب غلمان ثم أقلع وتاب وتزوج وكان أبونواس من جملة غلمانه " ثم تعرف على والبة بن الحُباب الذي اصطحبه معه إلى الكوفة (ابن خلكان، ج1، 1948: 274) وفي الكوفة التقي جماعة المجان فكان منهم مسلم بن الوليد والحسين الخليع والرقاشي والعباس بن الأحنف وغيرهم وقد وصف طه حسين هذه الجماعة الخليعة قائلاً" كان هؤلاء الناس لايستترون في معصية ولايكفون عن فاحشة وكانوا يتنقلون بمعاصيهم وآثامهم بين بغداد والكرخ والبصرة والكوفة والرقة ، وكانوا يأخذون اللذة حيث وجدوها فإذا أخذوها لم يتركوها حتى تتركهم، وكانوا لايخشون في ذلك خلقاً ولا ديناً"(طه حسين،ج2، د.ت:30) إلى جانب هذه البواعث التي ألمت بأبي نواس لانغفل ذكر صاحبته جنان التي أحبها والتي كانت تهزأ به وتسخر منه وقد أشعره هذا الحب بأنه "عاجز عن التحرر من واقع الناس فهو إن يهزأ بهم لايعتم أن يعاني مصيرهم" (إيليا حاوي، د.ت : 212) كل هذه العوامل تضافرت مع حياة الترف التي شهدها عصره ولاسيما بغداد، فولدت فيه الهزء الدائم بكل مايؤمن به الإنسان من قيم وتقاليد، فاتجه إلى معاقرة الخمر والمجون يقول: (أبونواس،1984: 141)

فَتَّكَتْني طيرنابَا ذَ، وقد كُنتُ تَقِيَا

إذْ تزَكتُ المَاءَ فِيهَا وشَرِبْتُ الخُسْرَوِيَا

ولأجل معاقرة الخمر ارتاد الحانات، ونادم غلمان النصارى وفضل ديانتهم المسيحية يقول: (أبونواس، 1984: 220)

يقول: باكرتُهَا مِنْ كفِّ أغْيدَ شادنٍ حسنِ التَّنغُّمِ، فوق سُؤلِ العَاشقِ

مُتَعَقْربِ الصُّدْغَينِ، في لحظاتِهِ فِتَنٌ لها مَقْرُونةٌ لبوائقِ

مُتَخَرْسِنٍ، دينُ النصَارى دِينُهُ ذي قَرْطَقٍ لم يتصِلْ ببنائقِ

لَبِقٌ، بديعِ الحُسْنِ، لو كلَّمتَهُ لنبذْتَ دينَكَ كُلَّهُ مِنْ حَالقِ

والله لولا أنني مُتَخَوّفٌ أن أُبتلي بإمامِ جُورٍ فاسقِ

لتَبِعْتَهُ في دِينهِ، ودخلْتَهُ ببصيرةٍ فيه دخولَ الوامقِ

إني لأعلمُ أنَّ ربِّي لم يكنْ ليخصَّه إلا بدينٍ صادقِ.

المبحث الثاني: المجون والمخالفات العقدية في أشعارهم

المجون هو ارتكاب المقابح والفضائح المخزية غير آبهٍ بعذْلِ عاذلٍ ولا لوْمِ لائمٍ ، وفي لسان العرب الماجن من الرجال الذي لا يبالي بما قال ولا ما قيل له كأنه من غلظ الوجه والصلابة (ابن منظور، مادة مجن) والمخالفات العقَدِية هي خروج عن أصول العقيدة الصحيحة بسبب جهل أو مصلحة دنيوية، ودراسة هؤلاء الشعراء لا تعني تتبع سقطاتهم ولكن الهدف هو تبيين تجاوزاتهم العقدية وانحرافاتهم الأخلاقية التي نلتمسها من خلال أشعارهم وأخبارهم.

يقول القاضي الجرجاني في(الوساطة بين المتنبي وخصومه : 64)

:" لو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عُدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليهم بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعري وأضرابهما من تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكما خرساً، وبكاء مفحمين ؛ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر".

المقصود كما يري القاضي الجرجاني أن " الدين بمعزل عن صنعة الشعر" أي أن معيار الحكم على الشعر بالجودة هو القوانين اللغوية والأدبية والبلاغية وليس من الناحية الدينية ـ

الأعشى:

"كان الأعشى شاعرا فاجرا عرف الخمر والنساء. ومشت به شهواته إلى الحدود الفارسية فنقل من تقاليد الفرس ماشاء" (زكي مبارك، ط1936،2 : 403)

أما عن مكانته الشعرية فقد أخبر أبوخليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي من أشعر الناس؟ قال: لا أومىءُ إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤالقيس إذا غضِبَ، والنابغة إذا رهبَ وزهير إذا رغِبَ، والأعشى إذا طرِبَ (الأصفهاني ،ج9: 127)

قال أبو عبيدة مَنْ قدَّم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد، وكان يُغنَّى في شعره؛ فكانت العرب تسميه (صناجةَ العرب) وكان يقدمه أبوعمرو بن العلاء و مروان بن أبي حفصة (الأصفهاني، ج9 : 129)

يقول واصفا الخمر :(الأعشى، 2005 :44)

ونظلُّ تَجري بينَنَا ومُفَدَّمٌ يسْقى بِهَا

هَزِجٌ عليه التومَتا نِ، إذا نشاءُ عَدَا بِهَا

ووديقةٍ شهباءَ رُدِّ ي أكمُها بسرَابهَا

رَكَدتْ عليها يومَهَا شمسٌ بِحَرّ شِهَابِهَا

إلى أن يقول :

مِنْ شُرْبِها المُزَّاءَ ما اسْـ تبْطنْتُ من إشرَابِها

وعَلِمْتُ أنَّ الله عمْـ ـداً حسَّها وأرى بها [3]

ويقول إنه شرب الخمر وتداوى بها (الأعشى،2005: 50)

وكأس شربتُ على لذةٍ وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرُؤٌ أتيتُ المعيشة من بابها

لكنه تجاوز عهد الشباب وما قضى فيه من أوقات بين الورد والبساتين معاقرا الخمر مقتنصا اللذة

مضى لي ثمانون من مولدي كذلك تفصيلُ حُسَّابها

فأصبحتُ ودَّعتُ لهو الشباب والخندريس لأصحابها (الأعشى، 2005: 50)[4]

ومن أشعاره التي تنم عن مجونه وفجوره والتي سار فيها على نهج امرئ القيس قوله: (الأعشى، 2005 : 42)

ولقد غبَنْتُ الكاعبا ت أحظُ مِنْ تَخْبابها

وأخون غفلةَ قومها يمشون حول قِبابِها

حذراً عليها أن تُرى أو أنْ يُطافَ ببابها

إلى أن يصل إلى خدرها:

فدخلتُ، إذ نام الرقيـ ب، فبتُ دون ثيابها

إلى آخر هذه الأبيات الفاحشة

وقوله: (الأعشى، 2005 : 49)

وقبلكِ ساعيتُ في ربربِ إذا نام سامر رُقابها

ومثل هذه المغامرات الماجنة كثيرة في ديوانه.

أما **أبو الهندي** فقد كان حاد الذكاء سريع البديهة، فصيحا مطبوعا، عذب الألفاظ ، لطيف المعاني ، وبسبب بعده عن بلاد العرب وسمعته السيئة لم يُعن الرواة بجمع أشعاره رغم جودة ما وصل منها وشهرته أقل من معاصريه من الشعراء .

[3] تظل تجري : الخمر ، التومتان: مثنى تومة القرط ، الوديقة: شدة الحر، المزاء: الخمر، حسها: استأصلها و أهانها، أرى بها: أي جعل الناس يرون بها تلك الإهانة .

[4] 50 الخندريس : الخمر القديمة القوية تجعل المرء ينتف لحيته لذهاب عقله.

ومن تجاوزاته العقدية قوله واصفا الخمر وما تفعله بشاربها معتمدا على مغفرة الله :

إمزجاها واسقياني واشرَبا ودعا العاذلَ يهذي كيف شا

وافشيا السِّرَ فما يهنأُ لي شُربُهَا إلا إذا السِّرُّ فَشَا

وإذا مُتُّ اضجِعَاني وافرشا من عصيرِ الكرْمِ تحتي فُرُشا

واقطعا لي كفناً من زقِّهَا واطرحا منها عليه وارشُشَا

وادْفِنَاني يا نديميَّ إلى جنبِ كرمٍ فرعُهُ قد عرَّشا

ليظل الفرعُ منِّي ظاهرًا ويَروِّي الأصل مني العَطَشَا

وكِلاني بعد هاتيك إلى راحِمٍ يفعل فينا ما يشا

و قيل إن سبب وفاته أنه " سكر يوما على سطح وكان كثير التقلب أثناء النوم، خاصة في الليالي التي يشرب فيها، فسقط من على السطح وعُثر عليه ميتاً صباح اليوم التالي وفي رواية أخرى أنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمار في (كوه زيان) فأصابه ثلج في طريقه فقتله .. فوجد من غد ميتا على الطريق ثم وجد مكتوبا على قبره :

اجعلوا إن مُتُ يوماً كَفَنِي وَرَقَ الكَرْمِ وقبري مَعْصَرَة

وادفنوني وادفنوا الرَّاحَ مَعي واجعَلوا الأقداحَ حولَ المَقبَرَة

إنني أرجو من الله غداً بعد شُرب الرَّاحِ حُسنَ المَغفِرَة

يقول: (الأصفهاني،ج20، د.ت: 347)

إذا حانت وفاتي فادفنوني بكرمٍ واجعَلوا زِقَّاً وِسادي

وابريقاً إلى جَنْبي وَطَاسا يُروِّي هَامتي ويكونُ زَادي

ويقول أيضاً:

فما حرَّم الرحمن من تمر عجوة ولا ما سقانا من ركيَّته سعْدُ

إذا طرحا في الدَّنِّ أخرج منهما شراب يروق العين منظره ورْدُ

نباكر أخذ الكأس حتى كأننا نرى في الضحى أطناب خيمتنا تعْدو

ويقول: ثبتَ الناسُ على راياتهم وأبوالهندي في كَوي زِيانِ

مَنزِلٌ يزري بمن حلَّ به تُسحلُ الخمرُ فيه والزواني

إنما العيشُ فتاةٌ غادةٌ وقُعودي عاكفا في بيتِ حانِ

أشربُ الخمرَ وأعصي من نهى عن طلاب الرَّاح والبيض الحِسان

في حيـاتي لـذَّةً ألهو بها فإذا مِتُّ فقد أودى زمـاني

ويقول مخاطبا أبا قيس :

قل للسري أبي قيس أتوعدنا ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لوعلمتْ فيك الشُّمولُ لما حرَّمتها أبدا

ولا نسيتَ حُميَّاهَا ولذَّتَها ولا عدلتَ بها مالاً ولا ولدا

وأبو قيس هو أبو الوليد الكناني كان ناسكا وقيس ابنه كان يشرب معه أبوالهندي فاستعدى عليه وعلى ابنه فهرب معه وقال فيها أبو الهندي هذه القطعة.

أما **أبونواس** فقد كان إباحياً متهتكا، يستحل المحرمات، ويخالف الدين والعرف والطبيعة ولا يخفيها يقول: (أبونواس، 1984 : 407)

يادار ما فعلتْ بكِ الأيامُ ضامتْكِ والأيامُ ليس تُضَامُ

عَرَمَ الزمانُ على الذين عَهِدتُهُمْ بك قاطنين، وللزمانِ عُرامُ

أيامَ لا أغْشى لأهْلكِ منْزِلاً إلا مُراقبةً، عليَّ ظلامُ

فهو في هذه الأبيات يحدثنا أنه لم يكن يغشى تلك الدار إلا في ظلمات الليل أيام كان يتذوق حياة الطيش والجنون فلا يخطو خطوة إلا لديه رقيب من التهم والظنون، وتلك حياة يراها الشاعر أرق من النجوى، وأطيب من شهىَّ العتاب

ثم يرسم صورة تنقل المعنى الصريح للفتك فيقول:

ولقد نهزتُ مع الغُواة بدلْوِهمْ وأسمْتُ سرحَ اللَّهو حيثُ أسامُوا

ملأ صباه بتتبع اللذة و المغامرات وكانت خاتمة المطاف أنه أدرك أن عصارة كل مغامراته آثام.

وبلغتُ ما بلغ امرُؤٌ بشبابه فإذا عُصارةُ كُلِّ ذاك أثامُ

ولشدة مجونه رماه بعض النقاد بالزندقة، فهذا زكي مبارك يرى أن أبانواس لا يؤمن بالمعاد(زكي مبارك، 1936، ص 1135.) ويستدل على ذلك بقوله: (أبونواس، 1984: 139)

رأيت الليالي مُرصداتٍ لمُدَّتي فبادرتُ لذَّاتي مُبادرةَ الدَّهْرِ

ومن أشعاره التي صورت فساد عقيدته وتجروءه على الثوابت الإيمانية قوله:(أبوهفان، 1979: 45)

ما جاءنا أحد يخبر أنه في جنة من مات أو في نار

وقوله:(الخطيب البغدادي، 1931 : 442)

يا ناظر في الدين ما الأمر لاقدر صح ولاجبر

ماصح عندي من جميع الذي يذكر إلا الموت والقبر

وقوله :

دع المساجد للعباد تسكنها وطف بنا حول خمار ليسقينا

ما قال ربك ويل للذين سكروا بل قال ويل للمصلينا

وقوله: (أبونواس، 1984: 293)

وإن قالوا "حرام" قل حرام ولكن اللذاذة في الحرام

ويسخر من الباكين على الأطلال وقد دفعه عشقه للخمر إلى السخرية والتمرد على الدين الذي نص على تحريمها يقول: (أبونواس، 1984: 36)

بكيتُ وما أبكي على دمنٍ قفرْ وما بي من عشق فأبكي من الهجرِ

ولكن حديث جاءنا عن نبينا فذاك الذي أجرى دموعي على النحر

بتحريم شرب الخمر والنهي جاءنا فلما نهى عنها بكيتُ على الخمرِ

وقوله: (أبونواس، 1984: 170)

هذه الممنوعُ منها وأنا المحتجُّ عنْهَا

مالها تَحْرَمُ في الدُّنْيا وفي الجنَّةِ منْهَا!

المبحث الثالث: التوبة والمغفرة في أشعارهم

لقد بالغ هؤلاء الشعراء في إقبالهم على الخمر وانصرافهم إلى المجون ،، لكن النفس البشرية لا تسيرعلى وتيرة واحدة ، تنتابها بين الفينة والأخرى لحظات تأمل وندم واستتابة يصحو فيها الضمير، وينشط فيها العقل، فالشاعر لم تكن نفسه متحجرة على الشر، فهو يأخذ حظه من الحياة " ويفرغ كأسها حتى حثالته، ثم تصحو فتدرك عظم ذنبها، فتلجأ إلى الندم والتوبة (البهبيتي،1970: 428) والأعشى شاعر الخمريات انتابته صحوة إيمانية متأخرة، أراد ملاقاة النبي ومدحه وإعلان إسلامه، لكن حنينه إلى الخمر حال دون ذلك يقول في مطلع قصيدته:

ألم تَغْتَمِضْ عيناك ليلةَ أرْمَدَا وبِتَّ كما باتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا

وما ذاك من عشْقِ النساء وإنَّما تناسيتُ قبلَ اليومِ خُلَّةَ مَهْددا

ولكن أرى الدَّهرَ الذي هو خائنٌ إذا أصْلَحَتْ كفَّاي عادَ فأفْسَدَا

يودَّع في مطلع قصيدته عهد الهوى والخمر، وينظر نظرة الحكيم المجرب، ويشكو حاله المسهد ؛حيث لم تغمض عيناه بسبب ما أصابها من الرمد الناتج عن طول السهر والسهد ولا بسبب العشق كما كان حاله من قبل وإنما بسبب ما يراه من تقلب الدهر به ومن أمور يريد صلاحها فيفسدها الدهر

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثروةٌ فللّه هذا الدَّهرُ كيف تَرَدَّدا

ثم يتأمل حالة الأضداد التي تنطوي عليها الحياة وينطوي عليها الدهر الذي يتقلب الإنسان فيه بين شيب وشباب وغنى وافتقار وكل ذلك يأخذه إلى السهد.

وبعد أن يصف الشاعر رحلته وشوقه إلى ملاقاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاناة السفر وأنه قرر ألا يستريح لا هو ولا ناقته إلا يصل النبي الذي تزينه صفات عظيمة فهو الكريم الذي يوزع الصدقات دون كلل أو ملل

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تُريحي وتلقي من فواضله يدا

نبي يرى مالا ترون وذكره أغار، لعمري، في البلاد وأنجدا

له صدقات ما تُغِبُّ، ونائلٌ وليس عطاءُ اليوم مانعهُ غدا

إن كل من لايسمع وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم حين أوصى بالاستقامة والإيمان حتما سيرحل من الدنيا بلا زاد يتزود به وسيندم على ما فاته من الأيام والليالي يوم لاينفع الندم ، ماتغب: لا تأتي يوما وتنقطع يوما، ولكنها دائمة (ياسين يوسف عايش ، 2021)

أجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الإله، حين أوصى وأشهدا

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت مّنْ قد تزودا

ندمتَ على أن لا تكون كمثله وأنك لم تُرصِدْ لما كان أرصدا

ثم يقف الأعشى عند مظاهر التشريع الإسلامي التي يراها زادا يتزود به من يريد التزود للآحرة، فيذكر تحريم أكل الميتة، وتحريم الذبح على النصب وعبادة الأصنام والدعوة إلى الصلاة ، وترك وساوس الشيطان وعفة النفس والابتعاد عن الفواحش وغيرها من التشريعات التي جاء بها الإسلام.

فإياك والميتات، لا تأكلنَّها ولا تأخُذنْ سهما حديداً لتفْصِدا

وذا النُّصُبَ المنصوب لا تنسكنَّهُ ولا تعبُدِ الأوثان، والله فاعبُدا

وصلِّ على حين العشيات ةالضحى ولاتحمدِ الشيطان، والله فاحمدا

ولا السائل المحروم لا تتركنَّهُ لعاقبةٍ، ولا الأسيرَ المُقيدا

ولاتسخرَنْ من بأئسٍ ذي ضرارةٍ ولا تحسبنَّ المرءَ يوماً مُخَلَّدا

ولا تقربنَّ جارةً، إنَّ سِرّها عليك حرامٌ، فانكحن أو تأبَّدا

أما أبو الهندي فيذكر في أبياته أنه ترك الخمر بعد أن كانت تأسره بحبها كما تأسر الفتاة الرَّداحُ الغلامَ قائلاً: (ابن قتيبة، د.ت : 572)

تركتُ الخمور لأربابها وأقبلتُ أشربُ ماءً قراحا

وقد كنت حيناً بها مغرما كحب الغُلامِ الفتاةَ الرَّدَحا

فلم يبقَ في الصدر من حبها سوى أنْ إذا ذُكِرتْ قلتُ آحا

وكان ينهل منها بشراهة، مدركاً ذنبه لكنه اعتمد على عفو الله ومغفرته. قائلا:

امزجاها واسقياني واشرَبا ودعا العاذلَ يهذي كيف شا

وافشيا السِرّ فما يهنأُ لي شُربُهَا إلا إذا السِرُّ فَشَا

وإذا مُتُّ اضجِعَاني وافرشا من عصيرِ الكرْمِ تحتي فُرُشا

واقطعا لي كفناً من زقِّهَا واطرحا منها عليه وارشُشَا

وادْفِنَاني يا نديميَّ إلى جنبِ كرمٍ فرعُهُ قد عرَّشا

ليظل الفرعُ منِّي ظاهرًا ويَروِّي الأصل مني العَطَشَا

وكِلاني بعد هاتيك إلى راحِمٍ يفعل فينا ما يشا

وقوله : (الأصفهاني، ج 20، د.ت : 347)

إذا صليتُ خمسا كلَّ يومٍ فإن الله يغفرُ لي فُسُوقِي

ولم أُشْرِكْ بربِّ النَّاسِ شيئاً فقد أمسكتُ بالدِّينِ الوثيق

وجاهدتُ العدُوَ ونِلْتُ مالاً يُبلِّغُنِي إلى البيتِ العَتِيقِ

فهذا الدِّين ليس به خَفاء دعُوني من بُنيات الطَّريقِ

واعتمد أبو نواس أيضاً في مجاهرته بالفسق على عفو الله ومغفرته فوردت في ديوانه قصائد تنم عن شعور صادق ،وعن عمق تفكير فقد أُنشد المأمون لأبي نواس : إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

فقال: لو أن الدنيا نطقت فوصفت نفسها لما عبرت عنها عبارة أبي نواس (الديوان ، 1958، ج1: 21)

يقول مخاطبا النظام: (أبونواس،1984 :6)

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

لاتحظر العفو إن كنت امرأ حرجا فإن حظركه في الدين إزراء

وقوله: (أبونواس،1984 :618)

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمتُ بأن عفوك أعظم

إن كان لايرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم

وقوله: (أبونواس،1984 : 610)

أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت السيد المولى الغفور

وقوله: (أبونواس،1984 : 620)

ياكبير الذنب عفو الـ ـله من ذنبك أكبر

أكبر الأشياء عن أصـ ـغر عفو الله أصغر

وقوله : تعاظمني ذنبي، فلما قرنته بعفوك ربي ، كان عفوك أعظما

ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

ولولاك لم يقدر لإبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدما (ابن عساكر،ج13: 458)

وقوله: (أبونواس،1984 : 126)

غادِ المدام، وإن كانت مُحرمةً فللكبائر عند الله غُفرانُ

وقوله: (أبونواس،1984 : 181)

خُلِقَ الغُفرانُ إلا لامرئ في النَّاس خاطِي

وقد أثنى المستشرق كارل بروكلمان على الشاعر أبي نواس حين تناول شعراء بغداد في كتابه تاريخ الأدب العربي قائلا:" كان أبونواس أعظم شعراء هذا العصر، ومن أعظم شعراء العربية كافة ." (بروكلمان، 1974: 24) أما عن زهدياته فهي " ليست مجرد ألفاظ جميلة، وعبارات مزوقة، بل هي تعبير صادق عن

شعور حقيقي، من السهل تفسيره بعد أن وعظ الشيب أبانواس وأيقن بفناء اللذات والنعيم" (بروكلمان، 1974: 27) وهذا يعني أن بروكلمان يقر بأن زهديات الشاعر كانت أواخر حياته، وأنه سلك طريقة غير طريقته، وأجاد وأحسن (المرزباني، 1995: 315) ولا نؤيد هذا الرأي ففي أخباره ما يدل على أنه تنسك مرارا ثم عاد إلى غيه ، لاسيما حين كان يلقى به في السجن، و" انما هي صحوات كان يفيق فيها ثم يرجع إلى خطاياه." (شوقي ضيف، 1966: 226)

الخاتمة

سعت هذه الدراسة الموسومة ب "المغفرة والتوبة في شعر الأعشى وأبي الهندي وأبي نواس" إلى تبيان العوامل التي أسهمت في جعل المجون والتمرد على القيم سمة لأفعالهم التي جسدتها أشعارهم، فقد كان للبيئة إضافة إلى طبيعة النفس البشرية - السجية التي جبل عليها الإنسان - التي من سماتها أنها تميز فردا عن آخر وتتسم بالغموض، وتمر بتغيرات وتحولات وتقلبات من وقت لآخر الأثر البارز فيما انتهجه هؤلاء الشعراء وما آلت إليه أنفسهم من تجاوز ثم إلى عودة وندم ، وهذه نهاية محتومة تبعث الرعب والخوف في قلوب المجان " سيما أولئك الذين يشكون شكا لايبلغ بهم إلى درجة الإنكار التام والإلحاد القاطع، أو الذين لم يستطيعوا كبح جماح رغباتهم رغم إيمانهم بالدين وتقبلهم العقائد دون مناقشة." (الزبيدي، 1959: 33)

فالأعشى عاش في الجاهلية قسطا كبيرا من حياته ، مقبلاً على اللذة يتبعها أينما كانت، أحب الخمر والنساء والزنا غير آبه للوم لائم أو عذل عاذل، والخمر هي" أم الخبائث " وبسبب الخمر أَجَّلَ توبته ، وعندما عزم الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم ومدحه وإعلان إسلامه ، تعرضت له قريش ومنعته يقال: أن أباسفيان قال له "إنه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك ، وكلها بك رافق، ولك موافق، قال: وما هن؟ فقال أبوسفيان: الزنا والقمار والخمر، فعدل عن وجهته ... ويقال أنه " قال لأبي سفيان لقد تركني الزنا وما تركته؛ أي كبر سني وضعفت عن الشهوات المحرمة، ولكنه قال عن الخمر: أما هذه فلا ، ففي النفس منها شيء وقيل أنه قال " أعود عامي هذا أتروَّى منها، ثم أعود في العام القادم فأسلم" فأحجم عن التوبة وعاد ليتروى منها وعاش حتى السنة السابعة للهجرة لكنه بإجماع المراجع لم يمت مسلما وإنما توفي في السنة التي أراد أن يعلن فيها إسلامه، والتي نظم فيها قصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وصف فيها تحمله مشقة السفر و شدة شوقه لملاقاة الرسول وذكر صفات الرسول ووصاياه بالاستقامة والإيمان وأن من لايتبع وصايا النبي يرحل من الدنيا بلا زاد يتزود به ويكون مصيره الندم.

وتجرأ الشاعر أبوالهندي على منظومة القيم فقد جاهر بحبه للخمر و المبالغة في هذا الحب ضاربا بالقيم والتحريم عرض الحائط، معتمدا على عفو الله ومغفرته لكنه لم يخص توبته وندمه بقصائد كما فعل أبونواس؛ إنما كان يقبل على الخمر بشراهة معتمدا على مغفرة الله كما يتضح من خلال شعره وإن ذكر أنه ترك الخمر لأربابها ولم يعد في صدره من حبها شيء.

أما الشاعر النواسي فقد دفعته عوامل متضافرة إلى التخطي فتناول عظائم الأمور حين تجرأ على ثوابت العقيدة الإسلامية فأنكر البعث والجنة والنار وضغطة القبر كما أمعن في المجون والفحش؛ لكن شعره لم يخلُ من الندم وطلب المغفرة التي نعتقد أن هذه الأشعار كتبها على فترات متقطعة، حين كانت تنتابه لحظات الندم.

المصادر

1. --الأصفهاني، الأغاني ج 9 ، ج20 ، شرحه وكتب هوامشه عَبد أ. علي مهنَّا، دار الفكر ط2، د.ت.
2. الأعشى الأكبر، ديوانه، اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط1، 2005.
3. - إيليا حاوي، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت د:ت.
4. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، الخانجي وبغداد والسعادة ، ج7، 1931
5. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1 ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ط1 1948.
6. رجاء السيد جوهر، فن الرجز في العصر العباسي، 1990
7. زكي مبارك ، الموازنة بين الشعراء، ط2، دار الكتاب العربي، 1936.
8. زكي مبارك، (الجوانب الجدية في شعر أبي نواس) الهلال، القاهرة، أغسطس، 1936 .
9. زهير عبدالله المدخلي، فن المديح عند الأعشى(دراسة فنية)، رسالة
10. ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2009.
11. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ط6، المعارف، القاهرة ، 1966.
12. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط8، القاهرة ، دار المعارف، 1960
13. طه حسين، حديث الأربعاء، ج2، القاهرة ، دار المعارف د:ت،
14. عبدالله الجبوري، ديوان أبي الهندي وأخباره، النجف، مطبعة النعمان، 1969
15. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج13، د.ت.
16. علي أحمد الزبيدي ، زهديات أبي نواس ، مطبعة كوستانسوماس، القاهرة ،1959
17. عمر أبو عاذرة، كاريزما السلم الوظيفي، دار الخليج، 2017.
    - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج2، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
18. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج2، نقله إلى العربية عبدالحليم النجار، المعارف، القاهرة، 1974.
19. محمد شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ط1 1974 ج3
20. المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، 1995.
21. مصطفى الشوري، الشعر الجاهلي- تفسير أسطوري- ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1996.
22. ابن منظور ، أخبار أبي نواس، تحقيق إبراهيم الأبياري(ملحق مطبوع مع الأغاني الجزء التاسع والعشرون والجزء الثلاثون) دار الشعب، 1953.
23. ابن منظور ، لسان العرب مذيل بمعجم المصطلحات العلمية والفنية،إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، د.ت.
24. أبونواس، ديوانه ، تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.
25. أبونواس، ديوانه ج1، رواية حمزة الأصفهاني، تحقيق إيفالد فاغنر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، فيسبادن والقاهرة ، 1958.
26. ياسين يوسف عايش، قصيدة الأعشى في مدح الرسول الكريم وأخبارها ، قسم اللغة العربية، الجامعة الإردنية